مجلة التراث

J-ALT

2018/ Vol:8 N°01

Available online at: http://www.asjp.cerist.dz

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/323

الدور الاجتماعي للزوايا في الحفاظ على قيم المجتمع(الأغواطي) الجزائري

دراسة تحليلية سوسيولوجية

الأستاذة: **دليلة بدران**، علم الاجتماع التنظيم والعمل، جامعة عمار ثليجي الاغواط. الجزائر.

الأستاذ: **أحمد سويسي**، علم الاجتماع التنظيم والعمل، جامعة عمار ثليجي الاغواط .الجزائر.

مجلة التراث، العدد 29 / ديسمبر 2018، المجلد الأول، الجزء الأول

لتوثيق هذا المقال:

دليلة بدران، أحمد سويسي، الدور الاجتماعي للزوايا في الحفاظ على قيم المجتمع(الأغواطي) الجزائري - دراسة تحليلية سوسيولوجية-، **مجلة التراث**، العدد 29، المجلد الأول، ديسمبر 2018.

تاريخ الإستقبال: 2018/02/04

تاريخ التحكيم: 2018/12/15

تاريخ قبول النشر: 2018/12/29

الملخص:

في ظل التغيرات الراهنة وما تفرضه التحديات من نمط ثقافي واجتماعي وانعكاسه السلبي على حياة المجتمعات ، ظلت الزوايا احد أهم المؤسسات التي أعادت نشاط الحياة العلمية حيث تتواجد داخل الذاكرة الاجتماعية من خلال وضعها الروحي ووزنها المادي المرتبط بوظائفها الفكرية, و مهامها التربوية التكوينية والاجتماعية، خاصة ما فرضه الحراك السياسي وبالتالي تحديد أهم ادوار ووظائف هذه المؤسسة في سبيل خدمة المجتمع ، وذلك من اجل التوحيد بين شعوب العالم الإسلامي ،وفك الخلافات والنزاعات بين أفراد المجتمع دون ان ننسى دورها الاجتماعي المهم كالإيواء والإطعام ...الخ.

Abstract:

Behind the changments and what challenges impose in a cultural and social style and it's negative reflexion on people's life . El Zawaya remains one of the most important institutions which helped the scientific life to survive . Where are located within the social memory Through the spiritual and the physical position and weight-related intellectual functions . formative. educational and social, especially those imposed by the political movement and thus determine the most important roles and functions of this institution for the sake of community service , So as to uniformity among the peoples of the Islamic world, and decoding the differences and disputes between members of the community not to forget the important social role like shelters and feeling .. ect

مقدمة:

إن لكل أمة تاريخا عريقا تحتفي به في كل مناسبة وتستعيد من خلال ماضيها أهم جوانب الحياة التي ارتبطت بحادثة معينة فالتأصيل في ذلك هو البحث عن مواطن القوة في حضارة ما، ولا شك ان قوة الحضارة تكمن في الحفاظ على أهم القيم التي سادت وتطور مع الزمن ، والزوايا في الجزائر بصفة عامة والأغواط بصفة خاصة ، كان لها أهمية كبيرة في المحافظة على قيم وهوية هذا المجتمع ، لاسيما إبان الاستعمار الغاشم الذي حاول بشتى الوسائل والسبل والإمكانيات لطمس هوية الشعب الجزائري وتجريده من أهم قيمه وعاداته وتقاليده وأصالته ، فقد كان للزوايا أثر كبير فهي حفظت لهذا الشعب المسلم قرانه وتعاليم دينه وأخلاقه ، ناهيك عن الجهاد في سبيل تحرير البلاد وجندت له أتباعها فلا تكاد تسمع عن ثورة أو مقاومة إلا وتجد ورائها شيخ زاوية أو زوايا ، وهو الأمر الذي جعل الاستعمار يحتاط له ويسعى إلى شل الزوايا ،...فالمتتبع للحراك الاجتماعي للزوايا وكيفية نشأتها، يلاحظ بلا شك دورها البارز في التأثير على حياة المجتمع الجزائري ،والدور الاجتماعي والتربوي الذي لعبته بعدما دخلت هذه الأخيرة عليه عن طريق الشرق والغرب الإسلامي، وبذلك كثرت الزوايا التي بدورها بدأت تقدم خدمات اجتماعية كإيواء الفقراء والعجزة وعابري السبيل والتكفل بالطلبة من جميع النواحي المادية والمعنوية وهذا ما سيتم التطرق إليه من خلال الطرح الفكري الذي يتبلور حول التساؤل التالي :

كيف ساهمت الزوايا إجتماعيا في الحفاظ على قيم المجتمع(الأغواطي) الجزائري ؟

أولا : أساسيات حول الدور الاجتماعي

مفهوم الدور الاجتماعي:

الدور كلمة كثيرا ما تتردد في حياتنا اليومية وقد شملت كافة المجالات منها ماهو ثقافي وسياسي واقتصادي واجتماعي ...الخ ، لكن يبقى للكلمة مدلولا واحد وهو تحقيق هدف معين في المجتمع.

وقد عرف ميد 1943 الدور بأنه :.. مجموعة النماذج الثقافية المرتبطة بمكان ما.

وفي تعريف لعاطف وصفي 1971: سلوك الدور هو مجموعة من أنماط السلوك المتعارف عليها.

وأما لينتون فيرى أنه :" جملة من النماذج الثقافية المرتبطة بوضع اجتماعي معين وتشتمل على اتجاهات وأنواع سلوك معينة ،يتوقعها الشخص من المنتمين إلى الجهاز ذاته ولذا فان الأدوار لا يمكن دراستها إلا في إطار الصلات البيئية "...،فللبيئة دور كبير في تحديد سلوك الأفراد وكذلك ثقافة المحيط التي جبل عليها الفرد ضمن معايير محددة تجعل لكل فرد يمارس دوره المنوط به وفق النسق العام الذي يحوي هذه الدور نحو تحقيق الهدف.

ان الأمر لمن الصعوبة بما كان ان نجد تعريفا سهلا مانعا للدور الاجتماعي ، وذلك راجع إلى تعدد الزوايا واختلاف الرؤى حسب توجه كل فكر ، لا سيما ما تقدم من خلال تعاريف علماء الانثربولوجيا وعلماء الاجتماع، وهذا ما يعكس طبيعة هذا المفهوم.

أهمية الدور الاجتماعي:

-يساهم في عملية التطبيع الاجتماعي ،لتشكيل الأفراد المندمجين في الوسط المحيط.

-يساعد على استقرار الجماعة واستمرارها بما يقدمه من أسس ومعايير مشتركة تسهل الاتصال الاجتماعي.

-الدور الاجتماعي تصور عظيم الأهمية لفهم السلوك والشخصية.

-القيام بالدور الاجتماعي عملية تكفل للمجتمع بقائه واستمراره.

-تساعد معرفة ودراسة الأدوار الاجتماعية في فهم العلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي.

3-خصائص الدور الاجتماعي:

إن الأدوار الاجتماعية تعد من عوامل التمايز الطبقي ومن عوامل الاختلاف القيمي الاجتماعي.

-يكسب المركز الدور صاحبه الاحترام والنفوذ ، دون ان يعني هذا بالضرورة انه يستحقها لخصاله الشخصية.

-تختلف دعائم الأدوار باختلاف المجتمعات والفترات التاريخية وحينما يخلو المجتمع من التمايز الطبقي أو يخلو من الطبقات ، يكتسب الأفراد مراكزهم على أساس إمكاناتهم الفردية.

-التقدير الاجتماعي لمختلف الأدوار التي يقوم بها الأفراد :هو الذي أدى إلى ظهور فكرة المركز الاجتماعي.

- تتأثر الأدوار الاجتماعية بالثقافة السائدة...،فالثقافة هي بطبيعة الحال القيم والأعراف التي تؤثر على تفكير الأفراد وبالتالي تحديد سلوكاتهم نحو أداء دور معين.

4- نظرية الدور الاجتماعي:

تعتبر فكرة الدور من أهم الأفكار وأهم النظريات التي تضمنها ميدان علم النفس الاجتماعي ، حيث ارتبط مفهوم الدور بمفهوم المركز و الوضعية والمكانة التي يحصل عليها الفرد و بنسق أو نظام اجتماعي خاص.

المفاهيم الاجتماعية، فهو نمط السلوك الذي يتوقعه الآخرون من شخص يحتل مركزا اجتماعيا معينا خلال تفاعله مع أشخاص يشغلون هم الآخرون أوضاعا اجتماعية أخرى.

ولهذه النظرية مفهومين أساسين تبني عليها أفكارها وهما:

أ-المكانة الاجتماعية:

وهي وضع الفرد في بناء اجتماعي يتحدد اجتماعيا وترتبط به التزامات وواجبات تقابلها حقوق وامتيازات ويرتبط بكل مكانة نمط من السلوك المتوقع وهو الدور الاجتماعي.

ب- الدور الاجتماعي:

يتضمن تلك الأفعال التي تتقبلها الجماعة في ضوء مستويات السلوك في الثقافة السائدة وعادة ما يكون للفرد أكثر من دور داخل النظام الذي ينتمي إليه..

فالمكانة الاجتماعية هي المرتبة التي يتحدد وفقها تواجد الفرد وفق آليات محددة تضبطها الأدوار والتي تنجر عنها الأفعال التي تكون وفق النسق القيمي للجماعة دون الخروج عنها.

ثانيا : مفهـوم الـزوايـا

تعريف الزوايا:

تعتبر الزوايا من أهم العوامل التي لعبت دورا كبيرا منذ القدم في الحفاظ على قيم وعادت المجتمع الجزائري بصفة خاصة، وذلك من خلال دورها الاجتماعي البارز في محاربة الاستعمار والتصدي لكل ما يساهم في طمس الهوية الوطنية وتعاليم الإسلام...

الزاوية **لغة** وفي في القاموس ترد تحت مادة انزوى، أي انعزل واعتزل الناس وركن إلى زاوية من الزوايا، وتفرد بنفسه.

هذه الحال أو الصفة أطلقت على الإنسان الذي اعتزل الناس وركن في مكان قصد التعبد، وأداء وظائف أخرى، فنسب إليه الانزواء، وإذا نظرنا في التصوف فإننا نجد فيه الانعزال والانزواء.

أما اصطلاحا:

عبارة عن مكان معد للعبادة و إيواء الواردين المحتاجين و إطعامهم و تسمى في الشرق خناقاة وجمعها خانقهات أو خانقاوات أو خوانق.

كما تعرف الزاوية بأنها" مدرسة دينية، و دار مجانية للضيافة، و هي بهذين الوصفين تشبه كثيرا الدير في العصور الوسطى.

وتختلف استعمالات لفظ – زاوية – من المشرق إلى المغرب، ففي المغرب ظل استعمال هذا الاسم مرتبطا" بالرباط "يقول محمد حجي" : لم تظهر الزاوية في تاريخ المسلمين كمركز ديني وعلمي إلا بعد الرباط والرابطة لغة مصدر رابط يرابط بمعنى أقام ولازم المكان .ويطلق في اصطلاح الفقهاء والصوفية على شيئين :أولهما

-البقعة التي يجتمع فيها المجاهدون لحراسة البلاد ورد هجوم العدو.

– والثاني عبارة عن المكان الذي يلتقي فيه صالحوا المؤمنين لعبادة الله وذكره والتفقه في أمور الدين.

ويعرفها: محمد قسطاني"بقوله :"تعتبر الزاوية مؤسسة تواصل بين الأفراد والجماعات ... فهي المتنفس الثقافي والأمني والديني للأفراد والجماعات صعودا، وهي تعريف الساسة المخزنية نزولا .وتلعب الزاوية هذا الدور نظرا لطبيعتها المزدوجة، ثقافة عالمة فقهية سنية مرنة وثقافة شعبية رمزية طقسية صوفية عجائبية تؤثر في العقل المستعد للانقياد وفي الوجدان."

والزاوية أيضا مؤسسة يقوم بتأسيسها شخص ذو شأن روحي و شخصية دينية معروفة بالفضيلة، بمبادرة منه مشهور بالتقوى و الصلاح و العبادة يتولى مهمة الوعظ و الإرشاد لمن يتردد عليه من أتباع و مريدين...

وحسب نظرتنا لمفهوم الزوايا فانه يمكن القول أنها المؤسسة التي يتم من خلالها إقامة الشعائر الدينية ويتعهدها أشخاص يتحلون بصفات روحية وعقائد دينية يتم من خلالها توجيه المجتمع نحو طريق الرشاد.

نشأة الزوايا بالجزائر:

في القرن الثالث عشر ميلادي عرفت الزوايا تطورا كبيرا بالمغرب العربي وذلك بهدف تنشيط الحركة العلمية داخل المدن وخارجها وعملت على تمسك شعوب المنطقة بدينها مما ساعد على صديها للغزاة على مر العصور فبدءوا بالبرتغاليين ثم الأسبان ومن بعدهم الفرنسيين والايطاليين وكان جل نشاطها في فترات الحرب هو تعبئة أتباعها ومريديها ضد الغزاة الأجنبية ، أما في زمن الحرب فكانت تلك الزوايا الهدف منها القيام بأداء رسالتها الدينية الحضارية التعليمية والتربوية..،ويمكن القول هنا أن الجانب الذي تعنى به الزوايا لاسيما ماتعلق بالدور الاجتماعي كان هدفه الأسمى هو الحفاظ على قيم الدين الحنيف ، قصد مجابهة الاستعمار وما ما يجسد لنا صورة المجتمع المحافظ برمته وان اختلفت عاداته.

وفي الجزائر فلقد عرفت عددا هاما من الزوايا أدت دورها على أكما وجه وأحسن صورة وانتشرت انتشارا واضحا ، سواء في الأرياف أو في المدن ، وعمت كل جهات الوطن تقريبا خاصة الجهة الغربية والوسط ، كما انتشرت في منطقة القبائل انتشارا كبيرا خصوصا بعد الاحتلال الأسباني لمدينة بجاية، لقد سجلت الزوايا القرآنية صفحة تاريخية مهمة في الجزائر وتاريخها السياسي والثقافي والديني يبث هذا على الدور العظيم الذي قدمته الزوايا في نشر الوعي الديني والثقافي في المجتمع الجزائري منذ نشأتها فالجزائر لم تعرف الزوايا إلا بعد القرن الخامس الهجري ، ومع مرور الزمن تطور أمر الزاوية وزادت أهميتها وخاصة خلال القرن العاشر الهجري بعد سقوط الأندلس وامتداد الأطماع الأوربية إلى السواحل الجزائرية.

ثالثا: مـاهيــة القيـــــم

1 - **مفهوم القيم:**

يعد دراسة القيم مطلبا لا محيص عنه ،خاصة في ظل هذا التقدم العلمي والتكنولوجي الذي يعد من سمات هذا العصر ، باعتباره أسهم بكيفية أو بأخرى في التأثير في مختلف مكونات الحياة الإنسانية من أفكار وقيم اجتماعية وعادات وتقاليد.

لغة:

من الفعل اللاتيني(Valeur) يعني أصلا أنني قوي وأنني في صحة جيدة.

وهي من قام قوما، وقياما أي انتصب واقفا، وقام الأمر اعتدل، وقام الحق ظهر واستقر، وقيمة الشيء قدره وقيمة المتاع ثمنه وجمعها قيم.

اصطلاحا:

فنجد لها عدة تعاريف فقد تناولها علماء الاقتصاد بأساليب مختلفة ،فأحيانا يرون أن مفهوم القيمة مرادف للثمن، وأحيانا يدلون بها على الصفة التي تجعل شيئا ما ممكن للاستبدال بشيء آخر وهي قيمة المبادلة المرادفة للمنفعة ، فالكثير منهم حاولوا إيجاد معيار لقيمة المبادلة ، ""ف ادم سميث، يرى أن هذا الشيء موجود في العمل...، أما علماء الاجتماع فبعضهم تجنب التعامل مع القيم على اعتبار أن البحث فيها يتسم بالذاتية، وأنها بذلك تخرج عن نطاق السوسيولوجية ولكن بظهور الدراسة السوسيولوجية"لتوماس وزنانيكي" بعنوان "الفلاح البولندي" في أوروبا وأمريكا عام 1918، جاء استخدام مفهوم القيمة وغيرت من نظرة علماء الاجتماع ، الأمر الذي جعلها تشكل موضوعا ذا أهمية ،في مجال الدراسات الاجتماعية ، وأصبحت متغيرا ينبغي الاستناد إليه في تفسير الواقع الاجتماعي بمختلف مظاهره.

ولابد من ان ننوه إلى ان هناك اختلافا بين العلماء لا سيما علماء الاجتماع في تعريفهم للقيم ، فمنهم من أشار إلى أن القيمة أي شيء له أهمية أو رغبة للذات الإنسانية ، "فروبرت بارك و برجس" يريان "أن أي شيء يحظى بالرغبة والتقدير هو قيمة " ،كما أن "ستيوارت دود " حاول تعريف القيمة بنفس المحتوى " القيمة هي رغبة أو أي شيء مرغوب أو يختاره المرء في وقت معين ،وهي من الناحية الإجرائية ما يقول: المرء انه يحتاجه"، كما أن "دور كايم" يرى أنها :"تفرض تقديرا يصدر من فرد له أحاسيسه الخاصة ،فما له قيمة خير وما هو خير يرغب فيه"...،أما "بارسونز" في كتاباته عند تحليله البنائي الوظيفي للنسق الاجتماعي حيث يرى أن القيم "هي تلك الجوانب من موجهات الفاعل التي تلزمه بالمحافظة على معايير معينة، ومعايير الاختيار ، وحينما يكون الفاعل مجبرا على الاختيار فإن موجهات القيمة قد تلزمه بمعايير معينة تساعده على اختياراته"...، فالقيم هي نتاج الواقع الاقتصادي والاجتماعي الذي مر به المجتمع ،فهي التي تساعد على فهم تطور هذا المجتمع من خلال الاتجاهات والأفكار وغيرها ،حيث يرى عالم الاجتماع الألماني "ماكس فيبر" "أن مفتاح فهم التطور الاقتصادي في مجتمع ما ،ليس هو الإنتاج وأسلوبه وعلاقته ولكن الاتجاهات السيكولوجية والأفكار والمعايير والقيم والعواطف والمشاعر التي تشكل روح المجتمع وتؤثر فيه وتوجهه"...، فهي تعد محددا مهما من محددات السلوك الإنساني ،

فمن خلالها يمكن الحكم على ما حولنا من المكونات الثقافية والسلوك ، فهي تفصح عن نفسها في أنماط التفضيل أو الاختيار بين البدائل المتاحة.

2–وظائف القيم:

إن القيم بمثابة الركيزة الأساسية في تشكيل الثقافة الخاصة بأي مجتمع ،فهي تساعد الأفراد على فهم ما يدور حولهم وما يحيط بهم ، فهي اللبنة الأساسية التي يقوم عليها التفاعل الاجتماعي ،وهي احد الجوانب الرئيسية والمهمة للبنية الفوقية الخاصة بالمجتمع،وتساعد على تحقيق مايلي:

– تهيئ للأفراد اختيارات معينة تحدد السلوك الصادر عنهم وبمعنى آخر تحدد شكل الاستجابات وبالتالي تلعب دورا مهما في تشكيل الشخصية الفردية ،وتحديد أهدافها في إطار معياري صحيح.

– تحقق للفرد الإحساس بالأمان فهو يستعين بها على مواجهة ضعف نفسه ، والتحديات التي تواجهه في حياته.

– تعطي للفرد إمكانية أداء ما هو مطلوب منه ، وتمنحه القدرة على التكيف والتوافق الايجابيين وتحقيق الرضا عن نفسه لتجاوبه مع الجماعة في مبادئها ، وعقائدها الصحيحة.

– تدفع الفرد لتحسين إدراكه ومعتقداته لتتضح الرؤيا أمامه، وبالتالي تساعده على فهم العالم.

– تعمل على إصلاح الفرد نفسيا وتربويا وتوجهه نحو الخير والإحسان والواجب .

– تعمل على ضبط الفرد لشهواته ومطامعه كي لا تتغلب على عقله ووجدانه لأنها تربط سلوكه وتصرفاته بمعايير وأحكام يتصرف في ضوئها ... فهي التي تضبط أفكارنا ومعتقداتنا وتوجهها نحو الخير في سبيل المحافظة على تراثنا وحمايتة من التشتت ،فالقيم سلاح وحصن منيع للأمة في استمرارها وبقائها.

3– أهمية القيم في الحياة الاجتماعية

تعتبر القيم عنصرا رئيسيا في تشكيل ثقافة أي مجتمع فهي المثاليات العليا للأفراد والمجتمع، كما أنها تقوم بدور كبير في إدراك الأفراد للأمور من حولهم و تصورهم للعالم المحيط بهم، و تعتبر مرتكزات أساسية تقوم عليها عملية التفاعل الاجتماعي، و تعد جانبا مهما من جوانب البنية الفوقية للمجتمع، لذلك نجد انه مع كل تغيير في التركيب البنائي للمجتمع، لابد من أن تتغير القيم لتواكب التركيب البنائي الجديد للمجتمع، و ينشا صراع قيمي بين القيم الجديدة أو المستهدفة من التغيير والقيم السائدة بالفعل في المجتمع.

و إذا نظرنا إلى القيم نجد أنها تتضمن عناصر الانتقاء و التفصيل، الأمر الذي يجعلها تختلف

من مجتمع لآخر بل و تختلف عند الشخص الواحد تبعا لرغباته و احتياجاته و تنشئته و تزداد أهمية القيم في عالمنا المعاصر في ظل التقدم العلمي و التقني و الذي غدا يمس كل مكونات الحياة الإنسانية.

وتبرز أهمية القيم في تحقيق التوازن النفسي للفرد و تحقيق تكيفه مع الجماعة و فقدانها إنما يؤدي إلى فقدان هذا التوازن و ما يصاحبه من شعور بالضياع و العجز، أي أن القيم و جفاف نبعها ومعانيها يؤدي إلى التوتر و القلق.

4- خصائص القيم:

-أنها إنسانية بمعنى أنها تختص بالبشر دون غيرهم، و هذا ما يميزها عن الحاجات التي تخص البشر و غيرهم.

-أنها مرتبطة بزمان معين، فالقيم إدراك يرتبط بالماضي و الحاضر و المستقبل و هي بهذا المعنى تبتعد عن معنى الرغبات أو الميول التي ترتبط بالحاضر فقط.

- أنها تمتلك صفة الضدية، فلكل قيمة ضدها، مما يجعل لها قطبا ايجابيا و قطبا سلبيا و القطب الايجابي هو وحده الذي يشكل القيمة في حين يمثل القطب السالب ما يمكن أن نسميه " ضد القيمة " أو "عكس القيمة. "

- المعيارية :بمعنى أن القيم بمثابة معيار لإصدار الأحكام تقيس و تقيم و تفسر و تعلل من خلالها السلوك الإنساني.

-تتصف القيم بأنها نسبية :من حيث الزمان و المكان، فما يعتبر مقبولا في عصر من العصور، لا يعتبر كذلك في عصر آخر، و لا يعتبر مناسبا في مكان آخر.

-تتسم القيم بالهرمية :إذ أنها ترتب عند كل شيء ترتيبا متدرجا في الأهمية، وبحسب الأهمية والتفضيل لكل فرد، و على هذا يمكننا القول أن لدى كل فرد نظاما للقيم يمثل جزءا من تكوينه النفسي الموجه لسلوكه.

-تتصف بالقابلية للتغيير :بالرغم من أن القيم تتصف بالثبات النسبي، إلا أنها قابلة للتغيير بتغير الظروف الاجتماعية لأنها انعكاس لطبيعة العلاقات الاجتماعية و نتاج لها.

-القيمة ذات قطبين في الجملة :فهي إما هذا الوجود أو ذاك أنها حق أو باطل، خير أو شر.

-الدينامية :فالقيم تتغير بتغير محور الاهتمام لدى الفرد وفقا للتفصيلات و الاهتمامات الإنسانية.

-تساعد بعضها البعض فهي ليست وحدات منفصلة و أنها غالبا ما تتفاعل معا و تتداخل، على نحو يزيدها قوة.

-إمكانية قياسها و دراستها من خلال أساليب عامة للقياس، تستخدم في قياس الميول و الاتجاهات.

5- مصادر القيم:

اختلف الفلاسفة و العلماء حول أصل و مصدر القيم و هو ما جعلهم يذهبون إلى آراء أربعة هي:

الرأي الأول :يرد أصحاب هذا الرأي القيم إلى محتوى الوعي أو الوجدان النفسي بما يضطرب به من رغبات و مشاعر، و بهذا لا تكون القيمة صفة خاصة بالموضوعات بل تلحق بأنواع الذوات فليس ثمة قيمة إلا بما كان يرضي رغبة أو يثير انفعالا أو يجسد دافعا، و هنا القيمة تعتمد على الاختيار الحر، الرغبة الذاتية للفرد و من أنصار هذا الرأي البراغماتيين و الوجوديين و أصحاب مدرسة التحليل النفسي.

الرأي الثاني :أصحاب هذا الرأي يرون أن مصدر القيم هو المجتمع و يردوه إلى العقل الجمعي لأن المجتمع عندهم هو المشرع الوحيد للقيم لأنه موجدها و حافظها و هو معيار القيم الخلقي لما له من قوة القهر.

و عليه فان التقويم عند أصحاب هذا الرأي عملية اجتماعية خارجة عن ذوات الأفراد و صادرة عن المجتمع و الإرادة الجمعية التي تعلو على الأفراد و ذواتهم، و من أنصار هذا الرأي) دور كايم و ماركس رغم الاختلاف المعروف بينهما.

الرأي الثالث :و من أنصار هذا الاتجاه أرسطو، المعتزلة و يرون أن أصل القيم يعود إلى طبيعة الأشياء و الأفعال ذاتها و الإنسان يكشف هذه القيم و يهتدي إليها بعقله نظرا لقدرتها على التأثير في رغباته و عليه فان لها وجود مستقل عن أي شيء خارج عنها فهي تتمتع بالاستقلال الذي يتصف به الشيء أو الفعل المتصف بها.

الرأي الرابع :إن مصدر القيم لدى أصحاب هذا الرأي يرجع إلى قوة خارجية عن الإنسان و المجتمع و هي تعلو فوق الإنسان و قدراته و الأشياء لا تخلق نفسها بل الله خالقها و مقومها و هو الذي يعطي قيمة الأشياء و الأفعال و لهذا فالقيم تنطبق على جميع الناس دون استثناء و لا تخضع لإرادتهم وأهوائهم الفردية و الجماعية على السواء و لهذا فهي تتصف بكونها عامة و ثابتة و مطلقة و كلية.

رابعا: دور الزوايـا بالمجتمـع الاغواطـي

نبذة تاريخية عن الاغواط:

تدل الرسومات الصخرية والآثار المتناثرة بالمنطقة على استيطان الإنسان بها منذ ما قبل التاريخ وإنشائه العديد من التجمعات الحضرية التي منها ما اندثر ولم تبق إلا أطلاله ، ومنها ما صمد وتطور إلى قرى ومدن ما فتئت تؤكد حضورها في التاريخ ، ولعبت على مسرحه الكثير من الأدوار المشهودة.

ولا تزال حول مدينة الاغواط بعض الشواهد من بقايا العصر الحجري الحديث (من 9 إلى 6 آلاف سنة قبل الميلاد)، تتمثل في الرسومات الصخرية المزروعة عبر هضبات سيدي مخلوف ،الحصباية تاجموت الحويطة والتي مازالت تحافظ على مخلفات إنسان ما قبل التاريخ.

كما لا تخلو المنطقة من بصمات العهد الروماني، مثل بعض الآثار و العملات التي عثر عليها بعض المنقبين وهي بقايا تدل على الأهمية التي اكتسبتها منذ العصور الموغلة في القدم.

وقد ذكر العلامة ابن خلدون " لقواط" أنها سميت باسم سكانها ،و يبقى رأيه قابلا للمناقشة ففي البداية نجده قد كتبها الأغواط ، وعند الحديث عنها يقول: "وأما لقواط وهم فخذ من مغراوة أيضا فه في نواحي الصحراء مابين الزاب وجبل راشد ، ولهم هنالك قصر مشهور بهم ".

كما جاء ذكر الاغواط على لسان عدة رحالة منهم الرحالة "أحمد أبو العباس الفاسي" بقوله "الاغواط بلدة طيبة وعليها أجنة ونخيل ولها أبراج وسور دائر بها..."، وأما "العياشي" الذي مر بمدينة الاغواط يوم 4 أبريل 1662 فيصف المدينة من الخارج ويتكلم عن أسوارها فيقول:"...نزلنا الأغواط قبل الظهر ...ووجدنا الغلاء الفاحش ،غير أن السكان لم يتركوا الركب يدخل بعد أن علموا أن الوباء منتشر بين أفراده ولكنهم مع ذلك أمدوهم بالزرع من خلف السور وغسلول النقود التي استعملوها ثمنا للزرع خوفا من العدوى" .

2--الموقع والطبيعة :

تقع الاغواط جنوب الجزائر العاصمة وتبعد عنها بحوالي 400كلم، وتمتد بساتينها ومبانيها على ضفة "واد مزي" الذي يأخذ مجراه من جبال العمور غربا ويتوجه نحو الشرق حيث يحمل اسما آخر هو واد "جدي" مارا بعدد واحات الزيبان إلى أن يصب في شط "ملغيغ".

أما موقعها الفلكي فهي تقع على دائرة عرض 48-33° شمالا وعلى خط طول 3° شرقا ، وترتفع عن سطح البحر 787 م... ، وتعتبر بوابة الصحراء لكونها تحتل موقعا استراتيجيا فهي نقطة عبور القوافل التجارية من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب.

وتشتهر الاغواط ببساتينها المنتشرة في الشمال والجنوب ،لان جبال تسقرارين تفصلها إلى مجموعتين متباينتين ، وقد شيدت منازل الاغواط من الطوب المستخرج من الطين ،الذي يلائم البيئة والأوضاع المناخية للمنطقة ، ويقطع الاغواط وادي الخير المتفرع عن وادي امزي والذي يعمل على سقي الأجنة والبساتين فضلا على تخصيب تربتها التي تبنت فيها خيرات كثيرة من تين ورمان وعنب وعدة أنواع من الخضر والفواكه حتى سميت بمدينة البساتين.

وتشتهر الاغواط بمجموعة من القصور أهمها : مدينة الاغواط ، العسافية ، قصر الحيران، الحويطة ،تاجموت ، عين ماضي،أعرشها فتتمثل في قبيلة الأرباع الكبرى المؤلفة من الأجزاء الأربعة وهي: المعامرة ،الحجاج، أولاد صالح، أولاد زيد، وتنتشر هذه القبيلة بين الجلفة في الشمال وبسكرة في الشرق وغرداية في الجنوب، و افلو في الغرب، كذلك عرش أولاد سيدي عطاء الله وقبيلة الحرازلية المشهورين بالاغواط فضلا عن قبائل أخرى وفدت إلى المنطقة عبر الحقب الزمنية كقبيلة بني هلال وأولاد زيان.

وهو ما يعكس طبيعة هذا المجتمع المتأصل بتاريخه وتراثه فالذي يستطلع هذه المناظر يجد أثارا تحكي قصصا لأناس خلدوا فكرهم وتركوا بصماتهم في هذه المنطقة من خلال التاريخ الثقافي والاجتماعي للمدينة التي تعتبر بوابة الصحراء ، ومعبر التجارة وعابري السبيل .

3-نشاط الزوايا بمنطقة الاغواط:

تعتبر مدينة الاغواط وبحكم موقعها الجغرافي ومكانتها العلمية والسياسية فهي محطة لتواجد اغلب الطرق الصوفية التي كانت تمارس التعليم داخل الزوايا ،ومن أهم الزوايا التي كانت سائدة ولها اثر كبير في الحفاظ على قيم المجتمع الجزائري الاغواطي .

3-1- الزاوية القادرية:

تنتسب هذه الزاوية إلى الطريقة الصوفية القادرية التي كانت من أولى الطرق الصوفية التي ظهرت في العالم الإسلامي والتي سميت نسبة إلى" مؤسسها الشيخ محي الدين محمد عبد القادر الجيلاني "أو "الكيلاني بن صالح موسى الحسني" ، نسبة إلى مدينة الجيلان بالقرب من بغداد ،وكان سيدي بومدين الغوث هو أول من ادخل هذه الطريقة إلى الجزائر ، وهي قديمة في مدينة الاغواط ، ومن ابرز روادها في هذه الفترة نجد "الحاج العربي"، " موتح"، الذي كان مقدم على راس هذه الطريقة بايجازة من شيخها في تونس ،والذي لم يترك أي مطبوع أو مخطوط ماعدا انه ينسب إليه إعادة أو بناء قبة أو مقام" الشيخ عبد القادر" سنة 1896م بالأغواط ، أما ابنه "الحاج الطيب بن الحاج العربي"، فقد ولد سنة 1854م والت إليه رئاسة الطريقة القادرية بعد وفاة أبيه ، وقد جدد هو الآخر بناء القبة المذكورة آنفا سنة 1929م وكانت وفاته في السنة الموالية أي سنة 1930 ، ولم يترك هو الآخر أي مطبوع أو مخطوط، ماعدا ان هذه الطريقة تحمد على مساهمتها في بعث النهضة التربوية والثقافية في الاغواط وذلك لعلاقتها الوطيدة "بالشيخ عبد العزيز بن الهاشمي"، الذي يؤول إليه الفضل في استقدام "الشيخ الزاهري"، للتدريس في مدينة الاغواط .

3-2- الزاوية الناصرية:

تصنف حسب المؤرخين بأنها أم الزوايا في بلاد المغرب ،وهي احد فروع الطريقة الشاذلية وهي تنسب إلى مؤسسها "الشيخ محمد بن ناصر الدرعي المغربي ،" وهو "والد الشيخ احمد بن ناصر" صاحب الرحلة الناصرية ،وقد حاول السلطان المغربي" مولاي محمد الشيخ" سنة 1030هـ/1621من استغلال هذه الطريقة لبسط نفوذه وسلطته في عدة مناطق ،نعتقد ان الاغواط كانت ضمن مخططاته ،إذا ما علمنا ان هذه المدينة قد تعرضت للسيطرة المغربية سنة 1708م في عهد السلطان" مولاي عبد المالك "،ومما تجدر الإشارة إليه هو ان" الشيخ أحمد بن ناصر"، صاحب الرحلة قد مر بالاغواط أثناء حجه إلى البقاع المقدسة مرتين الأولى سنة 1685م والثانية في سنة 1709م ، وقد أرخ خاصة لهذه الرحلة الأخيرة واستطاع أن يكسب أتباعا ومريدين لطريقة والده ، ومن مشاهير هذه الطريقة نذكر "الشيخ سيدي الحاج وحفيده ابن الدين"و"الشيخ احمد بن الحاج والبشير بن التاوتي" وغيرهم .

ومن بين أهم المؤلفين في هذه الطريقة نجد "الحاج ابن الدين الاغواطي" الذي ألف الرحلة المسماة برحلة الاغواطي، في شمالي افريقية والسودان والدرعية كتبها في حوالي 1828م ،وقد ترجمها عن العربية إلى الانجليزية ويليام ب.هودسون قنصل أمريكا بالجزائر، والمراسل الأجنبي للجمعية الملكية الآسيوية (لندن) طبع بمؤسسة الترجمة الشرقية سنة 1830م لندن ،ترجمها من الانجليزية إلى العربية "الدكتور أبو القاسم سعد الله"، كما تم العثور على بعض المؤلفات التي تنسب كذلك "للشيخ ابن الدين" وهي :الابريز المنسبك في تفضيل الآدمي على الملك ، رسالة الكواكب الدرية في جواب من سال عن الحقيقة المحمدية ، تقييد أو شرح على فصوص الحكم.

أما البشير بن التاوتي فقد نسخ هو الآخر جزءا من تفسير القران الكريم للعلامة الخازن، فقد جاء في صفحته الأولى (تم نسخ هذا الجزء من طرف البشير بن التاوتي الاغواطي نشأة والمالكي مذهبا والأشعري عقيدة والناصري طريقة).

3-3-الزاوية التيجانية:

تنسب إلى الطريقة الصوفية التي أسسها الشيخ" احمد بن محمد بن المختار بن سالم التيجاني "(1737-1815) امتد تأثير هذه الطريقة إلى الاغواط ،بحكم الموقع القريب لعين ماضي من الاغواط ،وكثرة تردد الشيخ التيجاني على المنطقة، خاصة حين تأسيسه لزاويته وذكره الخاص سنة1781 ببوسمعون.

ومن ابرز أعلام هذه الطريقة بالاغواط، نذكر: الفقيه السيد" أبو عبد الله محمد بن المشري الحسني السايحي التقرتي ادار"، كان من في الصلاة وكاتبا له، يقوم مقامه في الرسائل والأجوبة ، ومؤلفا لما سمعه أو عليه أملاه، من بين أهم ما ألفه ، كتاب "الجامع"، لما افترق من العلوم في جزأين ويسميه البعض" بالكناش"، لأنه يحوي اغلب آمال الشيخ احمد التيجاني ، وكتاب نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء ،لازم الشيخ التيجاني نحو ثلاثين سنة وتوفي بعين ماضي سنة هـ1809م .

كما نجد السيد "أبو عبد الله سحنون بن الحاج الاغواطي" ، كان من علماء الطريقة التيجانية المرجوع إليهم في علمي المعقول والمنقول، وكانت له مراسلات عديدة مع الشيخ التيجاني ،ويذكر صاحب كتاب "كشف الحجاب "،:ولد "الشيخ سحنون محمد واحمد "ضمن فقهاء الطريقة التيجانية ،ويضيف إليهم "أبو "العباس احمد بن معمر الاغواطي "،المعروف "بابن سالم "،والذي كان من أفاضل الخاصة "للشيخ التيجاني .."..كما يذكر كذلك "الشريف سيدي عيسى بن خزاز الاغوطي" و"السيد أحمد بن إسماعيل الاغواطي ،الذي يصفه بالفقيه ا"لأستاذ العلامة النقاد ذو البصيرة المنورة والنفس المطهرة"، والذي كان يشتهر بحسن تلاوته وتجويده للقران العظيم حتى انفرد بعلم التجويد ، كما يذكر "السيد أبو عبد الله محمد بن سلامة المضاوي" "والسيد محمد بن محمد بن جغنون وأخوه السيد احمد الاخضر الاغواط"ي .

3-4- الزاوية العزوزية:

وهي طريقة صوفية تفرعت عن الطريقة الرحمانية ، وتنتسب إلى" الشيخ محمد بن عزوز "،المولود بالبرج قرب مدينة بسكرة ، وقد خلف هذا الشيخ أولاد نذكر منهم : "الشيخ لحسن "الذي كان خليفة" للأمير عبد القادر"، في منطقة الزيبان والشيخ "مصطفى " ،العدو اللدود للفرنسيين منذ 1849 واليه يعود الفضل في تأسيس الزاوية الرحمانية، والتي كانت مأوى للاجئين والمطرودين من الجزائريين، أما الشيخ "المبروك " فقد انسحب إلى مدينة الاغواط ، واسس بها الطريقة العزوزية (الرحمانية) منذ خمسينات القرن 19 م، بعدما ضايقه الفرنسيون في منطقة الزيبان.

وقد ساهمت هذه الطريقة مساهمة معتبرة في المجالين الديني والاجتماعي، كقيامها بتحفيظ القران الكريم وإيواء الفقراء والمحتاجين .

وبعد تولي "الشيخ الازهاري" رئاسة هذه الطريقة في حوالي 1903م ،حرص على تعميم التعليم واستقدم "الشيخ محمد العاصمي " للتدريس في مدينة الاغواط.

تتميز مدينة الاغواط بأهمية موقعها بوصفها ملتقى القوافل الآتية من السودان الغربي، وبذلك انتشرت بها عدة فروع للطرق الصوفية الأخرى مثل الطريقة الدرقاوية ،التي تفرعت عن الطريقة الشاذلية ، وقد بدا في نشر تعاليمها في المنطقة الشيخ "موسى بن حسن المصري "حين حلوله بها سنة1829 م.

وأصبحت تسمى فيما بعد بالطريقة الموساوية ،فقد تردد عليها الكثير من فقهاء واعيان المدينة نذكر منهم المشايخ" قازي واحمد بلحاج وبوهلة محمد" وغيرهم.

انتشرت في الاغواط الطريقة السنوسية التي تنتسب إلى مؤسسها "محمد بن علي السنوسي "(1790-1859) ، فقد برزت أكثر بين سنتي 1822م و 1830م ، واستقر شيخها بالاغواط مدة إلا انه رحل منها إلى مسعد وقابس نحو المشرق العربي .، وبرغم هذه الإقامة القصيرة في الاغواط الا انه استطاع ان يكون مريدين له في المدينة ، إذ نجد ان الطريقة السنوسية مفتوحة للجميع والمقاديم من الطرق الأخرى فهي لا تلزم أتباعها بان يقطعوا علاقاتهم السابقة بالطرق الأخرى.

4-دور الزوايا في ظل الاستعمار الغاشم:

لقد سعى الاستعمار المستبد إلى بذل كل الإمكانيات لطمس هوية الشعب الجزائري ،حيث نجد ان هناك تراجعا كبيرا لدور الزوايا بالاغواط ، بسبب سياسة الاحتواء التي انتهجتها السلطة الاستعمارية ، وكذلك إغلاق العديد من الزوايا وطرد معلميها ، كما أنها سنت قانونا يمنع تنقل الأشخاص بدون رخصة ، فكان ذلك عقبة في وجه طلبة العلم باسم سياسة الدمج ،حددت المدارس القرآنية بدقة وروقبت مدارس الزوايا وأغلقت وأزعجت وتناقص عدد معلمي القران والمدرسين ، ومنذ ذلك الحين تقهقرت معرفة اللغة العربية إذ كانت لا تدرس ، كما منع فتح المدارس العربية وبخاصة منذ صدور قانون18 أكتوبر 1892 الذي يقضي بعدم فتح أية مدرسة إلا برخصة من السلطات الفرنسية ،ولكي تسلم هذه الرخصة تم وضع عدة إجراءات:

-الاستعلام عن صاحب الطلب ، أي معرفة كل ما يرتبط بحياته وانتماءاته.

-قبول عدد محدود جدا من التلاميذ في هذه المدارس.

والمتتبع لتاريخ هذه الزوايا على مستوى مدينة الاغواط يجد ان لها تأثيرا كبيرا على أبناء هذا المجتمع رغم اختلافها إلا ان لها هدفا واضحا وتفكيرا واحد وهو السعي للحفاظ على هوية وثقافة المنطقة ومواجهة كل تحدي يسعى أصحابه إلى طمس هوية المجتمع الاغواطي.

وفي 24 ديسمبر1904 صدر قانون يمنع فتح أية مدرسة لتعليم القران إلا برخصة من السلطات ، وإذا ما سمح بفتحها تبعا للشروط السابقة فانه يمنع عليها تدريس الجزائر وجغرافيتها، جاء في احد التقارير السابقة انه قد تركت المدارس تسقط وبذلك تم تحويل المجتمع المسلم إلى مجتمع أكثر جهلا وبربرية على ما كان عليه من قبل.

خاتمة:

من خلال ما تم تناوله يمكن القول ان الزوايا قد ساهمت إلى حد كبير في الحفاظ على هوية وقيم المجتمع الجزائري بصفة عامة والمجتمع الاغواطي بصفة خاصة ، حيث سعت الزاوية كمؤسسة إلى تكريس ثقافة العجيب والخارق في التجمعات الشعبية، كما وظفت لغة رمزية حتى تفتح عقول العامي في بعض الأحيان ، فهذه المؤسسة ظلت ولازالت تساهم في تطوير المجتمع وحمايته من كافة التغيرات .

التهميش:

1- فاطمة نفيدسة،العلاقة بين النسق القيمي والدور الاجتماعي لدى المرأة الطارقية، رسالة ماجستير،جامعة ورقلة ،الجزائى،2007،ص46.

.2-صلاح الدين شروخ :علم الإجتماع التربوي، دار العلوم للنشر و التوزيع،مصر،2004،ص123.

3- فاطمة نفيدسة،مرجع سابق،ص ص 49.48.

4-عبد العزيز خواجة، مبادئ في التنشئة الاجتماعية ، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران،2005،ص78.

5- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، لبنان،1996،ص395.

6- بن لباد الغالي،الزوايا في الغرب الجزائري التيجانية والعلوية والقادرية ،دراسة أنثروبولوجية،أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان،الجزائر،2009.2008،ص 29.

7-عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية و مدارسها، مكتبة مدبولي، القاهرة،مصر، 1999 ، ص13

8-محمد حجي،الزاوية الدلائية و دورها الديني و العلمي و السياسي،ط2 ، مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،المملكة المغربية ، 1988 ،ص23 .

9- بن لباد الغالي،مرجع سابق،ص ص،31.30.

10- التليلي العجيلي،الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي في البلاد التونسية، منشورات كلية الآداب ،جامعة المنوبة ،جامعة تونس 1، تونس، 1992 ، ص.34

11-عبد القادر الشطي ، السلفية الوفية ، مذهب أهل الحق الصوفية ، دار هومة ، الجزائر 2002 .، ص31 .

12-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2 ، دار الغرب الإسلامي،الطبعة الأولى،بيروت ،لبنان، 1998 ، ص18

13-محمد أحمد بيومي ،علم الاجتماع الثقافي،الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2006، ص 65.

14-عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة،المفاهيم والإشكاليات،بيروت،مركز دراسات الوحدة العربية 2006 ص 141.

15-علي عبد الرزاق جلبي ،دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية،بيروت،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،1984،ص 146.

16-مصطفى الباهي، القيم وتأثيرها على عمال المؤسسة،مذكرة ماجستير،جامعة فرحات عباس ،سطيف،1995_1996،ص09

17-علي خليل مصطفى أبو العينين،القيم الإسلامية والتربية،ط1،مكتبة إبراهيم علي،المدينة المنورة،1988، ص .49

18-سهام صوكو،واقع القيم لدى المراهقين في المؤسسة التربوية ،رسالة ماجستير علم الاجتماع تنمية وتسيير الموارد البشرية،كلية العلوم الاجتماعية والانسانية ،جامعة منتوري قسنطينة،2008-2009،ص 38.

19-صالح محمد علي أبو جادو : سيكولوجية التنشئة ، ط 1 ، دار المسيرة ، 1998،ص208.

20-سهام صوكو،مرجع سابق،ص45.

21-نفس المرجع،ص48.

22-مداني لبتر،الاغواط صفحات من الحضارة والتاريخ،ط1،دار هومة ،الجزائر،2006،ص 29.

23- عبد الرحمان ابن خلدون ،تاريخ العلامة ابن خلدون كتاب العبر،المجلد السابع،دار الكتاب اللبناني بيروت،1981،ص100.

24E.Mangin,Notes sur'histoir de Laghouat ,Edition Adolphe Jourdan, libraire-éditeur,Alger1895,p10.

25-Dhina Amar ; " Contribution à L'étude Du Nomadisme,le Chameau Chez les Tribus Arbaa Du sud algérien" ,Ed.Louis Massignon,institut français,Paris,1956)p32.

26-محمود علالي، الحركة الإصلاحية في الاغواط،بلوتو للاتصال،الجزائر،2008،ص 66.

27- نفس المرجع،ص.68

28-أحمد بن الحاج العياشي سكيرج،كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التيجاني منالاصحاب،ط3،المكتبة الشعبية ،بيروت،لبنان،1988،ص ص 150.149

29-نفس المرجع،ص70.

30-محمود علالي، مرجع سابق،ص.71

31-نفس المرجع،ص 73.

كل الحقوق محفوظة